واذا بصوت من كهوف رموسهم يدوي بصدري والصدا قد كرّرهْ
هيّا ارحمونا يا احبّتنا الألى منّا حظيتم بالكنوز مذخّرهْ
هلّا ذكرتم كيف كنّا عندكم في حق من سبقوا لهذي المقبرهْ
ما حان ان تنسوا وشائج لحمكم ودماؤنا بعروقكم متدبّرهْ
هذي المنازلُ والرياش يزينها هذي الجنائن والرياض المثمرهْ
هذي مكاسبنا ومن اتعابنا هذي لكم منّا كالف مذكّرهْ
كيف انقلبتم عن عهود جدودكم والمرء يعتبرُ العهودَ مطهّرهْ
لو كنتم في ذا العذاب مكاننا أرضيتمُ منّا بأيّة معذرهْ
لا تنكروا هذا المكان وناره
في عُرف مَن عرف الصواب مقرّرهْ
هذا كتاب الله يقضي بيننا وبهِ ترى هذي الفروض مسطّرهْ
هذي معاملة الذين تقدّموا في حق موتاهم لاجل المغفرهْ
من كامل الاعصار تُسمع رحمةُ م ألموتى فيا عجباً لهذه المأثرهْ
لا تبخسونا يا كرام حقوقنا انّ الحقوق لدى الكرام موقّرهْ
ان ترحمونا تُرحموا من غيرنا ولكم لديهِ رحمة متوفّرهْ
اليوم تذكارٌ لموتاكم فلا تنسوا فروضاً للجميع محرّرهْ
جدّوا وجودوا في سبيل نجاتهم من سجن مطهرهم وناره مسعرهْ
هذه نصائح من يؤرخُ آنها يا ربحَ من غنموا النفوس مطهره ١٩٠٣

دفنة

حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة

لجناب الشيخ منصور مسعود حبيش

دفنة هي مزرعة حقيرة على مسافة ساعة من شمال شرقي غزير فيها غاب كثيف الاشجار تأوي اليهِ الوحوش في فصل الشتاء بيوتها لا تتجاوز عدد الاصابع وجميع

سكانها يعتنون بتربية دود القز وزراعة الحقول وغرس الكروم واقتناء المواشي كقطعان الماعز وغيرهـا . وقد اتاح لي القدر ان ذهبت اليها في السنة المنصرمة وقضيت فيهـا بعض أيام من فصل الصيف لاشغال شخصيَّة . ففي احد تلك الأيام عنـد ما دانت الشمس من المغيب ذهبت لترويح الفكر وبمعيتي شيخ فلاَّح في السبعين من عمرهِ ذو بنيةٍ قويَّة كنتُ احبُّ معاشرتهُ لما طبع عليـهِ من السذاجة وسلامة القلب وحسن الطويَّة . فكان يقصّ عليَّ امورًا خفيت معرفتها وايضاح شأنها على اصحاب التواريخ الذين جرَّدوا اقلامهم وكتبوا عن مقاطعتنا الكسروانيَّة . وكنت صاغياً لقولهِ والصدر منشرحٌ من كلامهِ الى ان ادَّى بنا المسير الى بئر يرد اليها سكَّان القرية بمواشيهم ليستقوا من عذوبة مياهها . فاخذ الشيخ يروي لي عن كيفية استجلاب الماء الى هذه البئر في أيام الشتاء شارحًا لي بالاسهاب عن عظم اعتناء اهل تلك القرية في نظافة مياهها فتقدمت اليها قليلًا واخذت احدق النظر في بنيانها فبان لي ان اعظم مهندسي عصرنا في بلادنا السوريَّة لا يستطيعون اقداماً على عمل كهذا اذ هي منقورة في قلب صخر اصمّ . فبانت اذ ذاكَ امارات التعجب على وجهي فقرأها بسهولة الشيخ الفلاح ولذا بادرني بالسؤال قائلًا :

— لا مرية انك في انذهال عظيم لما شاهدت في هـذه البئر من دقة الصناعة وحسن البنيان ها قد مضت عليَّ الاعوام المتوالية وحتى ظهري الدهر ولم ازل مع ذلك اتذكر اقوال والدي الشيخ الذي توفي ولهُ من العمر نيف وثمانون سنة اذ اجابني عن سؤال خالج لبي بشأن هذه البئر على الحالة التي تراهـا الآن ولا نعلم ايّ يدٍ انبطتها واحكمت صنعها هذا الاحكام

فأطرقتُ رأسي هنيهة ثم تباعدت قليلًا عن شيخنا الذي كان متشاغلًا بالحديث مع احد الرعاة الذي ورد الماء مع قطيع ماعزهِ واخذت اتجول قرب البئر وامعن النظر فيها الى ان وجدت بعد الفحص انَّ طولها يبلغ عشرين مترًا في عرض اربعة امتار ودائرة حلقتها مترًا بنيِّف . فاحكمتُ النظر فيها لعلّي اقف على كتابة تجلي غوامض ما خفي عليَّ لكن املي ذهب ادراج الرياح فرجعتُ القهقرى كالح الجبين والقلب حزين . واخذت اتجول هنا وهناكَ الى ان نظرت على بعد اربعة امتار من البئر احواضاً أعدَّت للمواشي ومن جملتها حوض يبلغ طولهُ مترًا وعشرين سنتيمترًا على هيئـة ناووس وهو محفور

حفزًا محكمًا فزادني اكتشافي هذا رغبةً في البحث وشدَّة في التحفّي. وأُخبرت ايضًا انهُ من بضع سنين بينما كان احد الفلاحين يحرث ارضهُ عثر على قفاز من حديد وخاتم حديد وسنان لكن الايدي تناقلت هذه الآثار ولا يعلم اي يد تملكها فتضنُّ بها. ولم تزل عوامل الشوق تعمل بي للوقوف على اصل هذه القرية الى ان نلت والحمد لله ببعض اشياء مهّدت لي طريق هذا البحث

*

دفنة هي ابنة نهر پاني (Pénée) المعبود في تسّالية كالهِ ولعظم ما كانت عليهِ من الجمال كلف بها ابولون إله النور كلفًا شديدًا واخذ يتعقَّبها من ارض الى ارض ويقتصُّ آثارها حتى اوشك ان يظفر بها. فلمَّا شعرت بقصر باعها وانها اسيرة ذاك الإله العاتي استغاثت بابيها الاله ليسرع لمعونتها ويمدّ لها يد الاسعاف. فلم يذهب طلبها سدًى بل لبَّى ابوها مقالها واستجاب طلبها ومسخها غارًا جميل المنظر. ودفنة هي كلمة اعجمية يونانيَّة معناها الغار ولعلَّ « الدفلى » في العربيَّة مشتقَّة منها

فانشد الشعراء القصائد في محاسن هذه الالهة وشُيّدت لها المعابد ومن جملتها معبد بقي شيء قليل من اطلالهِ في القرية التي نحن بصددها وهي عبارة عن خمسة او ستَّة احجار ضخمة ثلاثة منها حُفرت بايدي سكان القرية وجعلوها احواضًا خلا الذي تكلَّمت عنهُ آنفًا وحجرين آخرين باقيين في مكانهما على مسافة سبعة امتار من البئر التي سبق كلامنا فيها فلا مرية ان سكَّان طبرجا ومدينة جبيل وما جاورها من المدن الساحليَّة التي كانت في ما مضى من الاعصار مأهولة بعَدد عظيم من السكان كانوا يأتون زرافات ووحدانًا الى ذلك المعبد للقيام باحتفال عيد الالهة دفنة كما هي عادتهم المألوفة مقدمين لها ما حلا لديهم من التقاديم النفيسة لكي يستمدوا منها نجاحًا وتوفيقًا ثم يذهبون بعد ذلك الى القنص في غابات هذه القرية المتكاثفة الآوي اليها عدد عظيم من الوحوش الضارية كالخنزير البري والضباع والذئاب الكثيرة حتى في أيامنا هذه

ولمَّا استُجلب ماء نبع المغارة الى مدينة طبرجا عُرّج بهِ كما يزعمون الى دفنة حيث لم تزل باقية الى الآن خنادق لا يعمل فيها حديد ولا نار. امَّا استجلاب ماء نبع المغارة ومروره على القرية المذكورة فلا اظنهُ حقيقيًا لما هي عليهِ من العلوّ عن مصدر ذاك الينبوع

وعلى مقربة ربع ساعة من القرية المذكورة توجد بئر ثانية بنيانها كبنيان البئر التي سبق وصفها والظاهر ان اليد التي حفرت بئر دفنة واتقنتها هي هي نفسها بنت البئر الاخرى وتأنقت بعملها لما بينها وبين الاولى من التشابه وفي يومنا هذا تدعى هذه البئر بئر الحلو وينسبون اليها عدة احاديث خرافيّة: منها ان مغربياً اتى هذه البئر منذ اعوام عديدة واستخرج من قلبها كنزًا ثمينًا بواسطة سحرهِ ومكرهِ واصاب صاحب الملك من هذا الكنز قسماً قليلًا اما النقود المكتشفة هناك فيخبرون أنها ضُكَّت في أيام ملوك اليونانيين

هذا ما وقفتُ عليهِ بعونهِ تعالى من تاريخ هذه القرية وكم خفيت امور على اصحاب التواريخ وطلاب العلم. والله سبحانهُ وحدهُ عليم

(المشرق) قد اصاب كاتب هذه المقالة الاديب بقولهِ انَّ دفنة من الامكنة القديمة. فان اسمها اليونانيّ يدلُّ على انَّ ثمَّت كان الوثنيون يكرمون الاله ابولون ولعل الفينيقيين كانوا يريدون بهِ الههم تمُّوز فعبدوهُ على صورة ابولُّون وكان الغار (δάφνη) من شارات هذا الاله خُصَّت بهِ شجرتهُ. وقد كثرت الامكنة المعروفة باسم دفنة اشهرها دفنة انطاكية وهو مكان في ضواحيها وكذلك اشتهر في سوريّة قريباً من بانياس بلد يُعرف باسم تل دفنة. ومما يدل على قدم دفنة كسروان ما وجد ايضاً في كفر جزّين ليس بعيدًا منها من الآثار. فان المسيو لوبتفاد قنصل دنيمرك سابقاً في الشرق اكتشف هناك تمثالًا للمشتري البعلبكيّ الذي وجد منهُ الاب رتزقال في دير القلعة تمثالًا آخر وصفهُ في المجلّة الكتابيّة

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثالث عشر

سكرات الموت (تتمّة)

وكان طيطس سبق وادرك ما سيبعثهُ منظر اسرى اليهود في قلوب اهل يدوت من الرحمة ولذلك جعل وراء صفوفهم الغنائم والاسلاب التي فاز بها الرومان في الحرب الاخيرة. فكنت ترى العجلات الموعبة من كنوز اورشليم وعقائل اموالها تتوالى تباعاً